تاريخ الترجمة الأدبية: الإشكاليات والتحديات

غيثة الأنصاري
طالبة باحثة
جامعة محمد الخامس أكدال الرباط، المغرب

إشراف الأستاذ: د. عبد الكريم العلمي
أستاذ التعليم العالي، جامعة محمد الخامس أكدال الرباط

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على أهمية الترجمة ودورها المحوري في بناء جسور التواصل بين الثقافات والحضارات عبر التاريخ. تتناول الدراسة تأثير الترجمة في الحضارات القديمة مثل الحضارة المصرية القديمة، حيث مثّلت نافذة للانفتاح على الآخر، والحضارة البابلية التي اشتهرت بأسطورة برج بابل ودلالاتها اللغوية، إضافة إلى الحضارتين اليونانية والرومانية، حيث كان للترجمة دور أساسي في تعزيز اللغة اللاتينية ونقل التراث الإغريقي. يسعى المقال إلى الإجابة عن أسئلة جوهرية، منها: كيف أسهمت الترجمة في تطور الحضارات القديمة؟ وما هي أبرز التحديات التي واجهتها؟ وكيف تعاملت كل حضارة مع الترجمة كوسيلة للانفتاح والتطور؟ كما يبرز المقال دور الترجمة في بناء جسور معرفية، ليس فقط بين الشعوب القديمة، ولكن أيضًا كأداة لإحياء التراث وتعزيز الفكر الإنساني. من خلال هذا الطرح، يهدف المقال إلى تحليل العلاقة بين الترجمة والتقدم الحضاري، وكيف ساهمت هذه العلاقة في تشكيل هوية ثقافية مشتركة تتجاوز حدود الزمن والجغرافيا.

كلمات مفتاحية: الترجمة، الثقافات، الحضارات القديمة، المصريون القدماء، اليونان، الرومان، البابليون، برج بابل، اللغة اللاتينية، التراث الإغريقي، التواصل الثقافي، الانفتاح، النهضة، الفكر الإنساني.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

الأنصاري، غيثة. العلمي، عبد الكريم (2024، دجنبر). تاريخ الترجمة الأدبية، الإشكاليات والتحديات. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 9 (الجزء 2)، السنة الأولى، ص 298-321.

Abstract:

This article highlights the importance of translation and its key role in connecting cultures and civilizations throughout history. It explores how translation influenced ancient civilizations like Ancient Egypt, where it fostered openness, and Babylon, known for the Tower of Babel and its linguistic symbolism. It also examines how translation supported the development of the Latin language and preserved Greek heritage in Greek and Roman civilizations. The article addresses key questions: How did translation help ancient civilizations progress? What challenges did it face? How did each civilization use translation to grow and connect with others? Additionally, the article emphasizes how translation-built knowledge bridges, revived heritage, and enriched human thought, shaping a shared cultural identity that transcends time and place.

Keywords : Translation, cultures, ancient civilizations, Ancient Egyptians, Greeks, Romans, Babylonians, Tower of Babel, Latin language, Greek heritage, cultural communication.

مقدمة

هدف هذا المقال هو تعريف القارئ بالترجمة الأدبية ودورها المحوري كركيزة أساسية في تطور الثقافة البشرية منذ العصور القديمة وحتى الزمن المعاصر. اعتمدتُ المنهج التاريخي، حيث تناولتُ مفهوم الترجمة عبر قفزات دياكرونية (تاريخية)، متوقّفةً عند أبرز المحطات التاريخية، ومبرزةً أهم التحديات والصعوبات التي واجهتها الترجمة في نسقها العام، بدءًا من عصور ما قبل التاريخ إلى الزمن المعاصر.

من خلال الدراسة والتحليل، يتضح أن الترجمة هي في الوقت ذاته تفسير للنص وفعل تواصلي وإنتاج لنص جديد، وهي في جوهرها عملية تأويلية تُلبّي حاجة لا غنى عنها وقد تكون شغف عقلي ومحاباة للنصوص. ومع ذلك، تظل الترجمة متأرجحة بين كونها "خيانة جميلة" بمعناها الإبداعي وبين الأمانة النصية التي تتطلب التخصص والدقة.

تختلف الترجمة باختلاف النصوص التي تعمل عليها، فتشمل النصوص الدينية، العلمية، الأدبية (الجمالية)، الفلسفية، والقانونية.

للترجمة تأثير عميق على اللغة، سواء على مستوى النسق أو البنية. إذ يمكن اعتبار كل ترجمة تفسيرًا لغويًا، شفويًا أو كتابيًا، يُعاد تشكيل النص فيها بناءً على نوعيته وخصائصه. قد يتمدد النص المترجم بهدف تحقيق التواصل الفعّال، أو يتقلص تبعًا لطبيعة اللغة والحقول الدلالية. على سبيل المثال، تتطلب اللغات السامية، مثل العربية، إحالات تفسيرية بسبب غناها الدلالي والسياقي، بينما تميل لغات أخرى، كالصينية، إلى الإيجاز في التعبير، لا سيما في الشعر والتواصل.

ورغم التحديات النظرية والتطبيقية التي تواجهها، تظل الترجمة وسيلة أساسية للانفتاح على الآخر لغويًا وثقافيًا، حيث تعمل كجسر للمعرفة والضيافة الثقافية. إذ تُعدّ الترجمة أداة للتقارب والتلاقح الثقافي بين الشعوب، مما يعزز نسقًا كونيًا مشتركًا. فلا غرابة إن اعتبرنا الترجمة جزء من حياة الإنسان. إذ بدأ دورها مع نشوء اللغات وظهور الكتابة، وتطورت لاحقًا من محاولات أولية إلى تنظيرات منهجية صارمة. أصبحت الترجمة في العصر الحديث علمًا له أسسه الأكاديمية ومناهجه وتقنياته المتنوعة، التي تتراوح بين الترجمة المتأنية التي تستغرق سنوات طويلة إلى

الترجمة الفورية التي يعتمد عليها في المؤتمرات والفعاليات الدولية. ومسعاها هو التلاقح الرمزي ومعرفة الأخر، انطلاقًا من قوله تعالى:(وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)[1] صدق الله العظيم.

ورغم ما أحرزته الترجمة من تقدم وانتشار، يبقى السؤال الإشكالي مطروحًا: ما دور المترجم؟ هل المترجم خادم للنص أم محرره؟

ولا يزال هذا الجدل قائمًا في الفكر النقدي الحديث، حيث تواجه الترجمة تحديات معاصرة تتطلب التوفيق بين الأمانة النصية والإبداع التحريري. ومع ذلك، يبقى للترجمة دور محوري في تعزيز الحوار الثقافي والإنساني، إذ تُعدّ رمزًا للاكتشاف وفكّ رموز المعاني.

I. الترجمة، محاولة تعريف الوضع الراهن

1. علم الترجمة (Translation Studies)

شهدت الترجمة تطورًا فكريًا جذريًا، حيث تحررت من التنظيرات التقليدية التي أضفت عليها طابع الغموض والأسطورة في التاريخ، لتصبح اليوم علمًا قائمًا بذاته. يعد هذا التحول الجوهري تحديًا رئيسيًا يتمثل في تجاوز عقبة التأويل وإيجاد مقاربة علمية تُيسّر الطريق إلى الاجتهاد، مما يسمح بتحويل الترجمة من مجال التصور النظري إلى التطبيق الفعلي.

يمكن اعتبار علم الترجمة أحد العلوم التجريبية التي تعتمد على تحليل المفردات والكلمات وسد الثغرات التي قد تؤدي إلى تضليل النص والقارئ. علاوة على ذلك، يتمتع هذا العلم بقدرة على التطور، من الحاضر إلى المستقبل، بفضل الإسهامات الفكرية من مجالات متعددة التي قدمتها مدارس العلوم الإنسانية، مثل السيميولوجيا مع فرديناند دي سوسير ورولان بارت، والتأويلية مع بول ريكور، والهيرمينوطيقا لشلايرماخر وغيرهم.

إحدى القضايا المركزية التي يواجهها علم الترجمة تكمن في صعوبة نقل المعنى بدقة تامة. حيث لا يعود هذا الإشكال إلى طبيعة اللغة نفسها فقط، بل إلى الاختلاف الثقافي التي تعكسها النصوص. ومن هنا، يقف المنهج العلمي في الترجمة أمام تحدٍ يتمثل في معالجة هذه الفجوة الثقافية التي تنشأ عند تحويل النصوص من سياق ثقافي إلى آخر. يهدف هذا المنهج إلى تحرير النص من قيود معينة أو جعله ينسجم بشكل صارم مع الأصل، حسب ما يتطلبه السياق كما يشير جورج مونان: "إن جميع المشكلات التي نشأت عن فن أو مهنة الترجمة منذ ألفي عام على

[1] القرآن الكريم (سورة الحجرات) الآية 13.

الأقل هي المشكلات التي يستطيع علم اللغة أن يقوم بإيضاحها بطريقة علمية، وخاصة ما يتعلق بالمعنى، لأن الترجمة هي نقل معنى نص. وليست سوى النقل. من لغة إلى أخرى"[1].

بهذا المعنى، يمكن القول إن الترجمة تتجاوز كونها فنًا لغويًا، لتُصبح علمًا قائمًا بذاته، له قواعده وشروطه الخاصة. إنها عملية معرفية وثقافية تعكس التفاعل الديناميكي بين النصوص والسياقات التي تنتمي إليها، مما يجعلها تتخطى حدود النقل الحرفي لتُصبح فعلًا تفسيريًا، ثقافيًا، وإبداعيًا في الوقت ذاته.

2. دور المترجم

تمثل الترجمة جسرًا للمعرفة بين الشعوب تعمل على تشييد قنوات الوصل وتقليل الفجوات إلى أدنى حد. فالترجمة تهدف إلى كسر الحواجز الثقافية، خاصة في عصرنا الراهن. وعلى الرغم من العقبات التي تواجهها تسعى باستمرار إلى توحيد العالم ثقافيًا، من خلال تسهيل المعرفة وإتاحة الأدب العالمي والكتب الأجنبية لمختلف شعوب العالم.

ليست الترجمة مجرد نقل للمعرفة أو حوار حضارات بالمعنى السطحي المتداول في وسائل الإعلام والمجتمعات الكوسموبوليتية، بل هي إحدى آليات **تمكين المجتمع** *social (empowerment)*.

تمثل الترجمة عملية منظمة تقتنص أفضل ما في معارف الحضارات العالمية لدعم التمكين على مستوى استراتيجي لأسباب سياسية وكترف ثقافي، ما يجعلها نشاطًا اجتماعيًا ذا أبعاد متكاملة، بمعنى أن الترجمة نشاط في هذا الميدان، يجري إنجازه من خلال مؤسسات ومنظمات تجمع بينها بنية شبكة اجتماعية وصولا إلى هدف أو مستقبل.[2]

إن المقصود هنا واضح وبَيّن؛ إذ يتمثل في أن عملية نقل اللغات من بنية إلى أخرى تُحددها أنساق عامة ضمن هذا المجال. الترجمة، بهذا المعنى، ليست مجرد عملية فردية، بل هي عمل تنسيقي يعزز الشراكة والتنظيم، حيث يؤدي الاعتماد على الجهود الفردية غير المخططة إلى الانحراف عن المسار التفاعلي بين الثقافات والجماعات.

كل عمل تنظيمي يمثل ركيزة ودعامة متينة تعزز مكانة الترجمة، وترفع من قيمتها بوصفها أداة للتواصل الثقافي والاجتماعي. من هذا المنطلق، يصبح الإتقان اللغوي أمرًا ضروريًا للمترجم،

[1] ينظر: علم اللغة والترجمة، جورج مونان، تر: أحمد زكريا إبراهيم، مر: أحمد فؤاد عفيفي، ص 45.
[2] ينظر: شوقي جلال، الترجمة في العالم العربي، الواقع والتحدي، مؤسسة هنداوي، ص 45.

الذي يتوجب عليه التمكن من اللغة المترجم عنها وإتقان اللغة الهدف، إلى جانب البحث عن مكامن الخلل التي قد تؤدي إلى تحريف النصوص نتيجة الاستعجال. هذه الأخطاء لا تُفقد النص قيمته اللغوية فحسب، بل تنال أيضًا من أهميته التاريخية والاجتماعية والثقافية.

لذلك، لا بد من الاهتمام بتكوين المترجم المتخصص، الذي يعتمد استراتيجيات دقيقة لتحويل النصوص، ويراعي السياق الخاص لكل معنى. يجب على المترجم تحقيق التوازن بين اللغة المصدر واللغة الهدف، مع الحرص على تقديم المعنى في سياقه الأصلي والمقصود.

وهنا، نسلط الضوء على دور المترجم من الناحية الأدبية في تقليص المسافات وخلق عملية تواصل بنّاءة وفعّالة بين النص (الذات) والنص (الآخر)، وبين الكاتب بلغته الأصلية وناقل النص إلى خارج تلك اللغة. هذا ما أكده الدكتور المغربي فريد الزاهي، المترجم والناقد الجمالي والاجتماعي، وصاحب ترجمة أعمال الفيلسوف والكاتب الفرنسي العظيم ميشيل دي مونتين.

الأستاذ فريد نموذج للمترجم المتمرس، وصاحب ثقافة متنوعة وعميقة، وصاحب تصور علمي وشخصي للترجمة يقول بخصوص الترجمة:

" الترجمة فعل إضافة واستضافة. إضافة بالمعنى البسيط للكلمة الذي يجعل المضاف أ الضيف إثراء للثقافة والمضاف إليها أو الضيفة، والضيف لاينصاع فقط لفعل الضيافة والإضافة، وإنما أيضا لمقاصدها في ذلك تتمثل عملية التلقيح Insémination والتشتيت Dissémination التي تقوم بها بشكل مفارق الترجمة"[1].

بهذا المفهوم، يُعد المترجم حجر الزاوية في عملية الترجمة، حيث يضفي على النص أبعادًا جديدة تُثري الثقافة وتفتح آفاقًا أوسع للتفاعل الثقافي. فالمترجم لا يكتفي بنقل النصوص حرفيًا، بل يُعيد تقديمها بما ينسجم مع السياقات الثقافية الجديدة، مما يجعل الترجمة أداة فعّالة للابتكار والتجديد. إنها ليست مجرد عملية لغوية جامدة، بل فعل إبداعي يُسهم في تعزيز الحوار الحضاري وتوسيع دوائر الفهم المتبادل بين الشعوب.

3. الترجمة الثقافية

لا يمكن فصل الترجمة اللغوية عن الترجمة الثقافية، لأن الواحدة تحتضن الأخرى، وتشكلان نسقًا معرفيًا واحدًا ومنظومة متكاملة. فاللغة بوظيفتها التحويلية كأداة برمجة واستراتيجية، تتطلب من المترجم إلمامًا عميقًا بما يقوم به، سواء على مستوى السلوك أو الممارسة.

[1] (م ن) ص 262.

من هذا المنطلق، يجب أن يتحلى المترجم بالاختصاص المعرفي والمهارة التطبيقية الفائقة في هذا المجال.

"يرى الباحثان أن المترجم يجد نفسه أمام عدة خيارات عند القيام بالترجمة، مثل السيطرة والتهميش والإدماج والقلب، وتنشأ السيطرة عندما يسيطر نظام ثقافي على آخر، أما التهميش فهو الحالة المناقضة للأولى، ويحدث عندما نجد نظاما ثقافيا هامشيا يستعصى على التحول لهذا السبب، أما الإدماج فيعني إدراج بعض القيم المتعلقة بمنظومة ثقافية معينة في منظومة أخرى، وأخيرا نجد القلب conversion وهو عبارة عن استخدام قيم مشابهة"[1].

الترجمة الثقافية، إذًا، تستدعي إدماج الثقافات المختلفة في إطار واحد، مع الحفاظ على هوية كل منها. وفي عصرنا الرقمي الحالي، تُبرز التكنولوجيا المتطورة نفسها كأداة فاعلة في الترجمة الفورية. من هنا، يصبح المشرع المستقبلي ملزمًا يجعل الترجمة ذات بعد واضح الهدف، مع العمل على إنجاحها من خلال وضع مقاربات عقلانية ومخططات بنيوية جاهزة، تسهم في تحقيق هذا التلاقي الثقافي بين الشعوب وتعزز التفاهم المتبادل.

II. عرض تاريخي للترجمة عبر العصور

1. الترجمة ما قبل التاريخية

الترجمة ليست مفهوم بسيط أو عملية يسيرة، بل هي عملية معقدة وصعبة الفهم والتنظير. في كل ترجمة، إما أن تظل وفية للنص الأصلي وتخدمه، أو أن تحرر النص وتطوعه. وفي كلتا الحالتين، تُوصف الترجمة بـ"الخيانة"، ولكن ليس بالمعنى البسيط للكلمة، بل من منظور فلسفي وإبستيمي (معرفي).

في هذا القسم، نستعرض أهم المحطات التاريخية للترجمة، بدءًا من ما قبل التاريخ:

أ. البابلية

تفيد البحوث إلى أن الترجمة عرفت بدايتها مع أولى الحضارات البشرية الضاربة في القدم، تحديدًا في حضارة ما بين النهرين (البابلية).

[1] ينظر: الترجمة ونظرياتها (مدخل إلى علم الترجمة)، تأ: أمبارو أورتادو ألبير، تر: علي إبراهيم المنوفي، ص 707.

لقد سجل التاريخ بداية الترجمة في هذه الحقبة، ما قبل التاريخية التي تعود إلى فترة كان فيها البشر يتحدثون لغة واحدة. وفقاً للأسطورة، سعى الناس في مدينة بابل إلى بناء برج يصل إلى السماء، مما أغضب الله، ففرق بينهم لغاتهم ومنعهم من التواصل فيما بينهم.

هذا الدافع الذي اضطرهم إلى اختراع الترجمة حتى يتمكنوا من التفاهم فيما بينهم لكن هذا التصور لا يستسلم إلى منطق فيظل راجحا [1].

وردت هذه القصة في "العهد القديم " "التوراة" (سفر التكوين) :

"(1 وكانت الأرض كلها لسانا واحدا ولغة واحدة 2 وحدث في ارتحالهم شرقا أنهم وجدوا بقعة في ارض شنعار وسكنوا هناك 3 وقال بعضهم لبعض هلم نصنع لبنا ونشويه شيا. فكان لهم اللبن مكان الحجر وكان الحمر مكان الطين 4 وقالوا هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه السماء. ونصنع لأنفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه كل الأرض 5 فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما 6 وقال الرب هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه 7 هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض 8 فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض. فكفوا عن بنيان المدينة 9 لذلك دعى اسمها بابل. لان الرب هناك بلبل لسان كل الأرض. ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض.[2])"

هذه القصة تحيلنا إلى زمن قديم وتعيدنا إلى نشأة التواصل البشري كما ورد في الكتاب السماوي على اعتبار أن بابل مهد الحضارات. يمكن القول أن اللغة لم تستدعي هذا العلم إذ كان البشر يتفاهمون دون وساطة لغوية. لكن السؤال الملغز اليوم، كيف تطورت هذه اللغات التي لا حصر لها؟ والجواب نجده في التطور التاريخي، كصيرورة أساسها اللسان والقوم، هذا الإشكال المطروح ما مهد للسانيات التاريخية التي تحلل اللغة في نسقها العام.

ب. المصريون القدماء

عرف المصريون القدماء الترجمة في وقت مبكر، حيث كانوا يتفاعلون مع ثقافة بلاد بابل والإغريق والفُرس. ومن دون شك، فإن ما وصلوا إليه من عظمة لا يزال لغزًا يصعب تفكيكه حتى اليوم. لقد كانوا قومًا منفتحين على الآخر ومهتمين بالتواصل، وهو ما تشهد عليه النقوش

[1] ينظر: حسن بحراوي، أبراج بابل (شعرية الترجمة: من التاريخ إلى النظرية) ص17.

[2] ينظر: جاك دريدا، أبراج بابل: تر: صبحي دقوري، تق: إبراهيم محمود، ص17-18.

والكتابات الجنائزية التي ظهرت باللغتين المصرية القديمة والإغريقية. كما يوجد نص اتفاق مبرم بين الحثيين وفراعنة مصر، وهو نص مكتوب بلغتين ويعود تاريخه إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام.

تشير الأدلة التاريخية أيضًا إلى أن بلاط الفراعنة كان يضم مترجمين متخصصين في هذه المهنة، وكان من بين هؤلاء المترجمين أمراء. وفقًا لتعريف إدمون كاري في حديثه عن "الترجمة الرسمية"، أنه كان يوجد إلى جانب فراعنة الإمبراطورية القديمة أمراء يحملون اسم "كبير الترجمة" يرافقون الجيوش ويصاحبون الملوك في محادثة الملوك الأجانب [1].

عرف المصريون القدماء العديد من العلوم، مثل الهندسة والطب والتعليم، وكانوا بارعين في هذه المجالات وسبقوا غيرهم في تطويرها. ولكنهم لم يهملوا الجانب الدبلوماسي في إقامة علاقات مع الأمم الأخرى، مما ساهم في تعزيز حضارتهم. ولا يزال السؤال الإشكالي قائمًا: لماذا كان المصريون القدماء في حاجة إلى الترجمة وهم من أعرق وأنجح الحضارات، وكان لديهم ما يكفيهم من العلوم في مجالات البناء والطب والتعليم؟

يبدو أن براعتهم تكمن في أنهم لم يتوقفوا عن تعلم لغات الآخرين، وهذا هو الجانب الذي جعلهم يرتقون ربما على أنقاض حضارات أخرى. فقد كانوا قومًا لم يعرفوا السبات، وعملهم الدؤوب جعلهم يكتبون اسمهم في صفحات التاريخ بحروف من ذهب.

ج. اليونان والرومان

لم يشعر اليونانيون والرومان في العصور القديمة بالحاجة إلى الترجمة. فاليونانيون، على سبيل المثال، كانوا يعتبرون لغتهم الاغريقية منتشرة على نطاق واسع، وكانوا يشعرون بالازدراء تجاه من لا يتحدث بلغتهم. في هذا السياق، يشير اللغوي والمترجم جورج مونان إلى هذه المفارقة من خلال تسليط الضوء على الاهتمام العميق للإغريق بلغتهم وتجاهلهم الكامل للغات الأجنبية.

ويعرف عن اليونان أن لغتهم بلغت مجدها، إذ أصبحت رمزا للثقافة والفكر عبر العصور . كما كان لديهم ما يعرف "بالهواتف" في الاستشارة مع الآلهة عن مستقبلهم عن طريق أحلام، أصوات، كلمات...فكان الكهنة يترجمون إليهم ما قالته الآلهة وهي كانت عملية تواصلية معقدة المنال[2].

[1] ينظر: حسن بحراوي، أبراج بابل، شعرية الترجمة: من التاريخ إلى النظرية، ص19.
[2] (م.ن) ص 22.

أما بالنسبة للرومان، فلم يشعروا أيضًا بالحاجة إلى الترجمة، خاصة الأوائل منهم، حيث كانوا يتقنون اللغة اليونانية التي كانت شائعة بين النخب المثقفة في ذلك العصر. وعندما استولوا على بلاد الإغريق، أصبحت اللغة اللاتينية هي اللغة العالمية في ذلك الوقت.

وفيما يتعلق بالرومان، فحوالي 240 قبل الميلاد قام الشاعر الملحمي ليفيوس أندرنيكوس بترجمة أعمال هوميروس إلى اللغة اللاتينية مثل الأوديسة، كما ترجم العديد من التراجيديات والكوميديات الإغريقية. وقد تبع هذا النهج العديد من المفكرين في تلك الفترة، الذين نقلوا أجزاء من التراث الهيليني مثل الملاحم والمسرحيات. وقد حفزت هذه الترجمة العديد من المؤلفين اللاتينيين على الانخراط في ترجمة ونقل الأدب الإغريقي بشكل أكبر.

أما شيشرون (43 ق.م- 106 ق.م) فهو أول المنظرين الرومان الذين اتخذوا من الترجمة محاكاة اتخذ من اليونانية تعبيرا عن اللاتينية مبتعدا عن الترجمة كلمة كلمة على اعتباره خطيبا بليغا يجعل من اللغة تستلهم من روح اللغة والاستعمال عند اللاتينيين .[1]

ترسخت الترجمة في الثقافة الرومانية مستمدة ثوابتها بفعل عاملين رئيسيين:

- تملك الرومان للتراث اليوناني.
- وضع الأدب اليوناني في حالة تماه مع الأدب اللاتيني، لتحريره وتخليقه، وتقويته وإنشاء ثقافة لاتينية تظهر من أثار التراث السالف (الإغريقي)[2].

2. لترجمة في العصور الوسطى

لقد شكل العصر الوسيط نقطة عبور لافتة في تاريخ الترجمة، حيث كان يُنظر إليها في ذلك الوقت باعتبارها عملية قد تخطئ في نقل المحتوى الأصلي، مما جعل الأعمال تصبح موضع التباس بين المترجمين. وعلى الرغم من هذا، كانت الترجمة تُعتبر أداة لإحياء النصوص القديمة وإخراجها من سبات الزمن. لكن في المقابل، كانت تُعتبر أيضًا "خيانة جميلة" كما يُقال في الأمثال الشهيرة" :*ترجمة هي خيانة*.(*traduire c'est trahir*)"

[1](م.ن) ص 111.

[2](م.ن) ص25.

و قد كان القرن السابع عشر يُعرف بالجميلات الخائنات[1] . وقد أطلق هذا المصطلح عالم النحو الفرنسي جيل ميناج (*Gilles Ménage*) على إحدى ترجمات بيرو دابلانكور[2]وكان يقصد بذلك بأنها ترجمة جميلة ولكنها خائنة للأصل الذي تنقل عنه[3].

تظل عملية نقل النصوص وتحويلها إلى لغات أخرى مسألة معقدة، إذ إن الترجمة قد لا تكون مطابقة للنصوص الأصلية. وتُعتبر خيانة لأنها قد تضلل القارئ وتخفي ما كان متوقعًا من المعنى، مما يجعلها أداة لتغييب النصوص الأصلية وتقديم تفسيرات قد تكون تحريفية أو تأويلية.

اليوم، يُنظر إلى الترجمة على أنها شكل من أشكالا لخيانة للنص الأصلي، ويُشاع استعمال تعبير "المترجم خائن". ويختبر كل من المترجم والقارئ حالة من القلق بشأن قدرة الترجمة على نقل جماليات النص الأصلي دون الإخلال بمعانيه، وخاصة في النصوص الشعرية، سواء كانت هذه الخيانة مقصودة أم غير مقصودة.

أ. ترجمة الفلسفة والعلوم في العصر العباسي

لا يمكن الحديث عن الترجمة في التاريخ العربي دون الإشارة إلى الجاحظ، أحد أبرز أعلام الأدب والفكر في التراث العربي، الذي قدم تنظيرًا رائدًا في مجال الترجمة. في منتصف القرن الثالث الهجري (الموافق للقرن التاسع الميلادي)، كانت حركة الترجمة إلى اللغة العربية قد أحرزت تقدمًا كبيرًا، مما جعلها جزءًا أساسيًا من بنية الثقافة والمجتمع العربي. تميز الجاحظ بتأملاته العميقة في قضايا الترجمة، حيث تناول مشكلاتها بوعي نقدي، ووضع شروطًا دقيقة للمترجم الكفء، من بينها الإلمام التام باللغتين المصدر والهدف، وهو ما عبّر عنه في نصه الشهير حول الازدواجية اللغوية:

"لابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيها سواء وغاية. ومتى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليها لأن كل واحدة من اللغتين تجتذب الأخرى وتأخذ منها وتعترض عليها وكيف يكون تمكن اللسان منها مجتمعتين فيه كتمكنه إذ انفرد بالواحدة، وإنما له قوة واحدة، فإن تكلم بلغة فقد استفرغت تلك القوة عليها وكذلك إذ تكلم بأكثر من لغتين على

[1]Les belles infidèles

[2]Pierre D'Ablancourt

[3]ينظر: حسن بحراوي، أبراج بابل، ص 147-148 .

حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات ولما كان الباب من العلم أعسر وأضيق والعلماء به أقل كان أشد على المترجم وأجدر أن يخطئ فيه ولن تجد البتة مترجما يفي بواحدة من هؤلاء العلماء"[1].

يبدو أن الجاحظ يوسّع مفهوم الترجمة ليجعلها تتجاوز مجرد عملية نقل النصوص أو التلاقح الثقافي الضيق. فهو يرى الترجمة كعملية معقدة مليئة بالإشكاليات التي قد تعيق المترجم عن تحقيق الدقة والإخلاص في عمله. وبهذا يضع الجاحظ الترجمة والمترجم أمام تحديات تتسم بالصعوبة، إذ يرى أن الترجمة ليست نقلاً خالصًا للنصوص بقدر ما هي تقارب بينها، حيث يبقى الجانب الخفي من النص غير معلن وواضح. لذلك، تصبح الترجمة مسألة تستدعي القلق، ما يدفع للتساؤل: هل يمكن أن نتجاوز يوما مقولة الجاحظ وتحقيق ترجمة وفية للنصوص الأصلية؟

أما في العصر الذهبي للعرب (العصر العباسي)، فقد كان الخليفة المأمون من أبرز الشخصيات التي دعمت الترجمة وأسهمت في ازدهارها. فقد شجّع المترجمين وأضفى على مهنتهم مكانة اجتماعية مرموقة، مما أدى إلى تنافسهم في نقل التراث اليوناني، خاصة في مجالات الطب والفلسفة والعلوم. ومن أبرز المبادرات التي خلدها التاريخ تأسيس "بيت الحكمة"، الذي أصبح مركزًا ثقافيًا وعلميًا لنقل التراث اليوناني إلى اللغة العربية.

كانت هذه الخطوة تعود لرؤية في المنام أراد تحقيقها كوصاية تلقاها من حكيم يدعوه للانفتاح على الحضارات الحكيمة كاليونانية في أوج ما وصلوا إليه من حكمة وتدبير.

ساهم "بيت الحكمة" في جعل بغداد، عاصمة الحضارة العربية آنذاك، محورًا للتواصل مع الفكر اليوناني، خاصة في المسائل الفلسفية والعلمية، مما كان له دور كبير في إثراء الفكر العربي والإسلامي.

ب. دور مدرسة طليطلة في إحياء التراث

ظهرت في القرن الثاني عشر الميلادي مدرسة طليلطة في الأندلس، وكان لها دور استراتيجي في نقل المعرف والعلوم. فطن لهاته المدرسة أمابل جوردان Amable Jourdain1819، ويعتبر من الأوائل في الغرب الذين لفت انتباههم أهمية هذه المدرسة، وفيها التقى المترجمون الذين وفدوا من أقطار أخرى من أوروبا، يعتبرها جورج مونان أول مدرسة حقيقية للترجمة وفيها تمت مناقشة الإشكاليات المتعلقة باللغات والترجمة كقضايا من صلب اهتمامات هذه المدرسة [2].

[1] (م.ن) ص65- 66.

[2](م.ن) ص 73.

من أهم المنجزات التي حققتها كمسعى تاريخي يترسخ في ترجمة القرآن في الفترة بين 1142 و1143، حيث تم هذا العمل كإنجاز في إحياء التراث الإسلامي بتعاون مع الدير والمترجمين اللاتينيين الذين كان معظمهم من أصقاع أخرى من أوروبا [1].

كانت تشكل هذه الفترة مرحلة انتقالية في ترجمة العلوم واللاهوت من اليونانية واليهودية، ثم العربية. ومن بين الأعمال البارزة التي ظهرت، تفسير كتاب أرسطو على يد ابن رشد، كما انتقلت كتب الفلك والطب إلى هاته المدرسة، والترجمة كممارسة كانت في أوج عطائها ونشاطها في تلك الفترة، لذلك يظل نجاح هذه المدرسة فيالوفود التي أتت من الشرق والغرب ثم الشمال والجنوب.

انقسم في مدرسة طليطلة للترجمة:

اللاتينيون في القرن الثاني عشر: معظم هؤلاء كانوا من العلماء واليهود العارفين بالعلوم والفلسفة العربية، كانوا يترجمون إلى اللاتينية لغة الكنيسة والعلم في العالم الغربي خلال تلك الحقبة.

الألفونسيونفي القرن الثالث عشر: ولقبوا بذلك لارتباطهم بالملك ألفونس العاشر، الذي تولىالحكم 1252 واشتهر بالمشروع الترجمي الواسع الذي قام برعايته وتمويله[2] .

III. الترجمة في العصر الحديث

أ. الترجمة والنهضة الفكرية في أوروبا

في هذا العصر حاولت الترجمة التحسين من أدائها، والحال أنها تعبت من أوزارها التي تنضوي في حضن التحريفات والخروقات، فكل عصر يأتي يحمل هم هذا القلق، الذي تتوارثه الأجيال. لقد صار الأمر قائما على الجدية والصرامة في اتخاذ الترجمة مهنة دعت إليها الضرورة والحاجة العملية.

لقد شهدت الترجمة في العصر تجديد الوعي الأوروبي بذاته وعلاقاته مع الجوار القريب و البعيد، بل إنها، دخلت بهذا الوعي في طور الشفاء والقلق ولم تفلح كل روايات ولا أشعار الرومانسيين في تبديده أو حتى التخفيف منه... فقد نالت الترجمة حظها من الاعتبار فاتجهت إلى ترشيد ممارستها و تحصينها من الانحرافات وسوء الفهم الذي خالطها لحقبة طويلة ومن ذلك على

[1] ينظر: المنهج في تاريخ الترجمة، تأليف: أنطوني بيم، تر: على كلفت، ص236.
[2] ينظر: حسن بحراوي، أبراج بابل، ص79و 80.

وجه الخصوص شهود انبعاث مفهوم "الأمانة" الذي قد تلكأ العمل به خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وهو المفهوم الذي سيصبح بمنزلة عقيدة.

وقد كانت هذه العقيدة ترى بأن الترجمات الحرفية تحديدا هي الأكثر أمانة ووفاء للأصل ومن مصداقية الترجمة (الفوتوغرافية) تقريبا التي قام بها (جيرار دى نرفال) "فاوست" لغوته أو ترجمة (شاطوبريان) ل "الفردوس المفقود" لميلتون شديد الالتصاق بالأصل، أو الترجمة الحرفية بالغة الدقة التي قام بها (لوكونت دي ليسلي) لإليادة هوميروس"[1].

إن النصوص (الروائع) تعود إلى الجذور، كما تحن إلى الأصل. والأصل هو كل شيء في الترجمة، ويظل المترجم ناقل هذه الآثار التي من شأنها إحياء النص. فلولا هؤلاء النوابغ من المترجمين، لما استعصى فعل الترجمة مع مرور الزمن؛ فهم صاروا ولا زالوا جسرا بين الأصالة والمعاصرة، هم من يربطون خيط نضم الترجمة بفعل جهودهم الحثيثة في هذا المضمار.

تعتبر ألمانيا رائدة في مجال الترجمة، لاسيما في هذا العصر الحديث ويعد فريدرشهولدرلين من المترجمين الألمان الحداثيين، وقد قال عنه (شيلر) إنه "عمل مجنون".[2]

عندما جاء القرن العشرين اعترف بهولدرلينليس في ألمانيا فحسب بل في أصقاع أوروبا وكانت آخر أعماله ترجمته لمسرحية (سوفوكل) كما ذكر والتر بنيامين[3].

أما يوهان غوته فهو من المترجمين البارزين الألمان فجاء ديوانه الشهير "الديوان الغربي الشرقي" يحاكي الذهنيات فيجد فيه القارئ ذاته.[4]

وفي القرن الواحد والعشرين، أصبحت الترجمة تتخطى العقبات التي كانت تواجهها في الماضي بفضل التطور الهائل في الأدوات التقنية ووسائل الإعلام والاتصال الحديثة. ساعدت هذه التطورات، مثل المكتبات الرقمية التي توفر مصادر متنوعة ومتخصصة، وبرامج الترجمة الآلية المعتمدة على الذكاء الاصطناعي، على جعل النصوص الأصلية أكثر قربًا وفهمًا في اللغات المنقول إليها. وقد أسهمت هذه الابتكارات بشكل كبير في تعزيز التفاهم الثقافي على المستوى العالمي، مما جعل الترجمة أداة فعالة في بناء جسور التواصل بين الشعوب والحضارات.

---

[1] ينظر: حسن بحراوي، أبراج بابل، ص 173 و 174.

[3] (م.ن)، ص 179.

[3] ينظر: حسن بحراوي، أبراج بابل ص 184 و185.

[4] (م.ن) ص102.

ب. مدرسة الألسن واليقظة العربية

في الوقت الذي توطدت فيه العلاقة بين الأدباء والترجمة في القرن العشرين، ظهرت في مصر مدرسة عربية متميزة في هذا المجال، بفضل جهود شخصيات مثل يعقوب صروف وطه حسين.

تعود بدايات هذا الحراك الثقافي إلى القرن التاسع عشر، بفعل مجهودات محمد علي باشا وعهد حفيده إسماعيل، حيث تم تأسيس "مدرسة الألسن" في القاهرة عام 1835، كما ظهرت ريادة رفاعة الطهطاوي ورفاقه وتلاميذه في ترسيخ مبدأ الانفتاح على الثقافات واستلهام علومها ومظاهر حضارتها، وجاءت هذه المبادرة في ترسيخ قيم التعاون بين مصر وبلاد الشام بهدف تجديد الوعي العربي في ثقافتها، والدفع بها خارج الاجترار والتقليد.

وكانت مبادرة محمد علي بترجمة الكتب الغربية بغية استنهاض سبات الأمة التي تنغمس في الانحطاط و من أجل استنارتها بمشروعه الذي أطلق عليه فيما بعد ب "اليقظة الفكرية" .[1]

IV. الترجمة في النظرية المعاصرة

شهد العصر الحديث بروز منظّرين بارزين في مجال الترجمة، مثل والتر بنيامين، جورج مونان، هنري ميشونيك، وأنطوان بيرمان. سنركز هنا على والتر بنيامين باعتباره فيلسوفًا ومفكرًا فتح باب التأويل عن الغوص في البحث عن جوهر الترجمة التي لا يحققها التواصل، فالنص سيتعرض للفشل، لأنه تنقل ماهو غير جوهري[2] .

كما يشير أن النص المترجم يدخل في حالة ازدواجية بين المؤلف الأصلي والمترجم:

"سيكون على المترجم أن يقهر المسافة التي تفصل النص عن ترجمته، والأصل عن نسخته، وأن يمحو اسمه ليسمح لكاتب النص الأصلي أن يتكلم بلغة أخرى دون أن يفقد هويته. يريد المترجم أن يكتب النص باسم كاتبه، أن يكتبه دون أن يوقعه، يريد أن يتدخل دون أن يتدخل، وأن يظهر ليختفي"[3].

وهنا تبدو مسألة الالتباس والازدواجية التي تبرز العلاقة بينالنص الأصلي والمترجم، مما يجعل الترجمة ميدانًا مفتوحًا للتأويل والجدل.

---

[1] ينظر: حسن بحراوي. أبراج بابل، ص 221.

[2] ينظر: حسن بحراوي. أبراج بابل، ص257.

[3] (م.ن)، ص 258.

بعد هذه الدراسة الدياكرونية للترجمة، يمكن القول أن الترجمة أصبحت ضمن المناهج و العلوم التي لا يتوانى عنها المترجم خاصة في حقل العلوم الإنسانية وهي تواجه و تجابه هذا النسق المعقد حسب تعبيردوسوسير في اللسانيات.

بعد هذا استعراض الذي حاولت من خلاله الإشارة إلى تطور الترجمة عبر العصور، يمكننا القول إن الترجمة أصبحت جزءًا لا يتجزأ من المناهج والعلوم، خاصة في مجال العلوم الإنسانية. تواجه الترجمة تحديات متشابكة كما وصفها دو سوسير في اللسانيات، إذ اعتبر اللغة نظامًا معقدًا، بينما أشار هايدغر إلى أن اللغة هي "بيت الكينونة"، مما يجعلها أداة وجودية وملاذًا. كذلك، يرى هولدرلين أن الترجمة هي "مأوى الغريب"، مما يعكس طبيعتها العميقة.

يعد هنري ميشونيك Henri Meschonnicمن أبرز الباحثين الفرنسيين الذين اقترحوا منهجيات مبتكرة لدراسة الترجمة الشعرية والترجمة عمومًا. وله منهجية تنطوي على الكثير من الأصالة والتصميم على إدانة مظاهر التحريف التي تصيب الترجمة الشعرية تحديدا ".[1]

يشهد للباحث المرموق أنطوان بيرمان Antoine Bermanأنه قد طوّر نظريته في الترجمة من خلال بحوث متنوعة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر كتابه الشهير "محنة الغريب(L'Épreuve de l'Étranger) "، الذي أبرز فيه الأهمية القصوى لعملية الترجمة، وخاصة طبيعتها المزدوجة، فيرى أنه يستحيل أن تعيش ثقافة منغلقة على نفسها مؤكدة حاجتها على الانفتاح[2].كما ساهم في المؤلف الجماعي "أبراج بابل"، (Les Tours de Babel) الذي صدر عام 1985، ليعزز رؤيته حول دور الترجمة في تعزيز التواصل بين الثقافات.

V. الإشكاليات والتحديات المطروحة في الترجمة

1. المفهوم التقليدي للترجمة كخيانة للنص الأصلي

لا يتفق النقاد والباحثون على اعتبار الترجمة هدفا دقيقا أو أمينا للنص الأصلي بقدر ما هي خيانة جميلة. على الرغم من ذلك، تقدم الترجمة تقاربا من حيث الكم والكيف، مما يعزز البحث في العلاقة بين ما يسمى "الترجمة" و "الأصل" في المناظرات حديثة العهد حول هذا الموضوع. هذه

[1] ينظر: حسن بحراوي، أبراج بابل، ص 280.

[2](م.ن)، ص 298.

المناقشات تتعلق بشكل رئيسي بقضية السلطة والقوة. ومن هنا، يتبنى تيار فكري معين بشكل تقليدي، فكرة أن الترجمة انتهاك أو خيانة للنص الأصلي.[1]

حيث ان البحث في الأصل هو استكشاف لحقائق ذات طابع عميق لم تتوارثه الأجيال. ولكن إذا نظرنا إلى البعد التاريخي للترجمة، نجد أنفسنا لامحالة أمام إشكالية الترجمة التي تنحرف عن الأصل. هذا يتجلى من خلال " بلبلة" ونسيان اللغة الموحدة التي كانت تجمع البشرية قديمًا، أو في عهد نوح عليه السلام.ويقول فيرمير في هذا الصدد:

"إن الترجمة لم يقصد بها في يوم من الأيام أن تحل محل الأصل، بل مجرد استكماله، وذلك فقط بالنسبة للذين لا يستطعون قراءة الأصل، وقد أسهمت هذه الحقيقة في الحكم بمرتبة اجتماعية وثقافية منخفضة على الترجمة والمترجم".[2]

والحال أننا اليوم نواجه عددًا كبيرًا من اللغات، منها ما هو متداول ومنها ما أصبح في طي النسيان. والإشكالية المطروحة اليوم تكمن في الجانب الخفي لترجمة النصوص الدينية، والتاريخية، مما يستدعي الحرص على امتلاك معرفة دقيقة وممنهجة لفهم هذه النصوص ومقاربتها في إطار العلوم الإنسانية. وذلك بالنظر إلى مكانتها السامية في البحث عن الأبعاد الفلسفية ذات الطابع الوضعي، والتي تعكس الانفصال القائم بين الفلسفة وعلم الإناسة الاجتماعية.

ينضوي الأصل source في الدراسة التي كرس إليها الشاعر البرازيلي هارلود دي كامبوس خاصة في تناوله موضوع الترجمة في دراسته الشهيرة معتبرا إياها نقدا وإبداعا في نفس الوقت في ظل النقاش المستمر حول مكانة النص الأصل لدى المترجمين، أما رجال الدين فينصاعون لهذا الأصل، خاصة مكانة الكتاب المقدس"[3].

2. تحديات الترجمة الأدبية

أما الترجمة الأدبية فلا تزال تواجه العديد من الإشكاليات المطروحة التي جعلت من الترجمة جسرًا هشًا، بحيث لم تتوطد تلك العلاقات المتينة على المستوى الأدبي، فيحدث خرق غير مألوف للنصوص الأدبية، بحيث تكون الترجمة إما وسيلة لتعزيز قيمة النص ورفع مكانته الفنية

[1] ينظر: سوزان باسنيت، أندريه ليفيفير، بناء الثقافات، مقالات في الترجمة الأدبية، تر: محمد عناني، ص 69.
[2] سوزان باسنيت، أندريه ليفيفر، بناء الثقافات، مقالات في الترجمة الأدبية، تر: محمد عناني، ص 53.
[3] ينظر: محمود عبد الغني: معجم المصطلحات الأساسية في الترجة الأدبية، ص 20.

والاجتماعية، أو سبباً في تدنيها. وقد تصل الترجمة إلى أن تتفرد بأصالتها وطموحاتها المنشودة، مما يثير تساؤلات حول حدودها ودورها في الحفاظ على روح النص الأصلي.

"ولعل أسوأ حال ينوب عن الترجمة التلخيصية هو عندما تكون ناجمة عن تواضع أو قلة الزاد اللغوي لدى المترجم، كما كانت حالة الشاعر حافظ إبراهيم عندما تصدى لنقل رواية "البؤساء" لفكتور هوغو إلى العربية. وهي الترجمة التي يتفق الجميع على أنها جاءت مثالا لممارسة البتر عن رغبة في الاقتضاب والعجز عن ترجمة المتن الأصلي بأمانة "[1].

وعلى ذكر الأمانة فالترجمة تصير التباساحيت يعطي مونان مثالا بالترجمة التي أنجزها الشاعر الفرنسي الكبير بييرجان جوف لقصائد الشاعروالمسرحي الإنجليزي وليام شكسبير ذات الأربعة عشر بيتا، والتي تساءل حولها الشاعر المتمكن من الانجليزية ليون- جبرائيلغروس قائلا: "المهم معرفة ما إذا كانت هذه أشعار جوف؟ أم أشعار شكسبير؟ وتجدر الإشارة إلى أن لجوف سابقة ترجمية أخرى مع الشاعر الإيطالي "أونغاريتي"، إذ لاحظ مونان أن إعادة قراءة هذا الشاعر بترجمة جوف، وخاصة عندما تتم مقارنتها بترجمات "جان لوسكير" التي ساعده فيها أونغاريتي نفسه، يتم طرح السؤال نفسه الذي طرح مع ترجمته لشكسبير: هل مانقرأه عمل شعري لجوف أو لأونغاريتي؟ وعندما تكررت مثل هذه الترجمات، بدأ المتخصصون، وفئة من قراء الترجمة المقارنين، يطلقون التحذير الذي ترددت أصداءه في العالم كله:كفى، ليس من حقكم التحريف.إننا نريد قراءة شكسبير وأونغاريتي، وليس بيير جان جوف"[2].

لا تزال الترجمة في وقتنا الراهن تواجه صعوبات جمة، فهي مازالت خيانة لم تحقق مسعاها المنشود، رغم سعيها الدائم للاعتراف بصدقها وبراءتها من الالتباس الملتصق بها. لعلها تقرب بين المسافات في سعيها الحثيث لجذب لغة الآخر لتطويع الذات وتحريرها من جمودها أو على الأقل الاعتراف بالأصل.فالترجمة غالبًا ما تخفي ما ورائها أكثر ما تعلنه.

في مجال الشعر، على سبيل المثال، قد تفقد الترجمة الإيقاع ولا تستوفي شروط نقل المعنى بذلك المعنى المتوخى وبالشكل المتوخى، مما يبرز جانب "الخيانة" في هذه العملية.

[1] ينظر: حسن بحراوي، أبراج بابل، ص 232.

[2] ينظر: محمود عبد الغني، معجم المصطلحات الأساسية في الترجمة الأدبية، ص 38.

فالخيانة هي ممارسة خطيرة في تحويل النصوص (من/إلى)، فتخفي من ورائها الآثار، مما يعتم من حقيقة النص الأصل. فهذه الأوزار من الترجمة هي إرث تاريخي، خاصة عندما اتخذوا منها مهنة القصد منها تحقيق مكاسب مادية أو مكانة اجتماعية قريبة من طبقة من الأعيان.

لدراسة تاريخ الترجمة فإن هناك علاقة جدلية وازدواجية بين التاريخ والترجمة، حيث تشكل الترجمة صيرورة زمنية تتغير بفعل الزمن وتحولاته. أما في وقتنا الراهن، فقد أصبحت علما قائما بذاته، يواكب التنظير الحديث ويمتد ليشمل جميع الميادين. لكنها لا تزال تواجه تحديات عديدة، تستدعي مناقشتها كوسيلة لتجاوز العقبات والتنظيرات السطحية أو الانطباعية. يتطلب هذا الإخلاص لأمانة الترجمة، بحيث تسهم في الجمع بين الثقافات بدلاً من أن تفرق بينها.

فلعنة "البلبلة" لا تزال صارخة في يومنا هذا، ومفعولها مستمر، في الوقت الذي تحيا فيه لغات على أنقاض أخرى وترتقي حضارات بينما تتراجع أخرى، على سبيل المثال لا الحصر اللغة اليونانية واللاتينية ودور الرومان فيهما.

كما رأينا في الحضارات السابقة، مثل حضارة المصريين القدماء، كانت الترجمة جسرًا للتواصل والانفتاح على الآخر، ممثّلًا في الإنسان والثقافات المختلفة. أما عند اليونان والرومان، فقد لعبت الترجمة دورًا محوريًا في تعزيز اللغة اللاتينية ونقل التراث الإغريقي. بالنسبة للبابليين، ارتبطت الترجمة لديهم بالطموح والتحدي، كما يظهر في القصة الأسطورية لبناء برج بابل، الذي يُعتبر محاولة لمواجهة الإله. ورغم الطابع الأسطوري لتلك القصة وابتعادها عن المنطق والعقلانية، إلا أنها تعكس أهمية اللغة كوسيلة للارتقاء والتواصل.

وعلى النقيض، كان المصريون القدماء ينظرون إلى الترجمة كوسيلة للانفتاح على الآخر والتفاعل الثقافي، في حين ركز اليونان على الترجمة كوسيلة للتواصل مع الآلهة. أما الرومان، فقد أخذوا بالترجمة بشكل عقلاني، بهدف إحياء اللغة اللاتينية وتعزيز مكانتها عبر استيعاب التراث الإغريقي، مما جعل الترجمة لديهم عنصرًا جوهريًا في مسيرة النهضة الثقافية.

أما العرب فكان لبيت الحكمة مع الخليفة المأمون شأن كبير في الانفتاح على الفلسفة والعلوم اليونانية، إلى جانب الدور الهام وخدمات مدرسة طليطلة في الإعلاء من شأن الترجمة. كما ساهمت في تأسيس مدرسة الألسن، التي كانت تحمل مشروع محمد علي في بعث النهضة الفكرية والرفع من المستوى الثقافي للأمة العربية.

كل هذه المحطات التاريخية، بمختلف مراحلها، مثلت تحديًا ملحوظا لتحقيق الترجمة كوسيلة لإحياء الثقافات. ولعل هذا التحدي، في جوهره، يمثل البديل الأمثل لمعالجة الإشكاليات التي تواجه الترجمة عبر الزمن.

"لقد ظلت نظرة الناس إلى الترجمة نظرة تحط من قدرها باعتبارها نشاطا ثانويا يعتمد على فكر الغير وأدبه، وكانت النتيجة هي خفض قيمة الدراسة الأدبية لهذا النشاط أما الآن، وبعد التجاهل الذي ساد فترة طويلة، فقد أصبحت دراسة الترجمة راسخة الجذور، وهي تتقدم بخطى حثيثة على مستوى العالم كله... ولاتزال الترجمة ودراسات الترجمة تحتفظ بموقعها القديم في أقسام اللغات الحديثة"[1].

وختاما، يمكن القول إن الترجمة لا تؤمن بالانغلاق، بل هي فضاء مفتوح لاستضافة الآخر والترحيب به.

3. إشكالية الترجمة الشعرية

أما فيما يخص الشعر فإنه يعد من بين أكبر الإشكالات في الترجمة، باعتباره بنية تتشابك مع نسق المجتمع والثقافة والفكر من جهة، ومن جهة أخرى، فإنه يحتوي على أصوات وتراكيب فريدة تنبثق من اللغة في نظامها العام وكما تعبر عن خصوصية الكلام الفردي مع بعده النفسي.في هذا الصدد يقول بول ريكور:

"يطرح الشعر طبعا، مشكلة خطيرة تتمثل في الاتحاد الذي لا انفصام له بين المعنى والصوت وبين الدال والمدلول، لكن ترجمة الأعمال الأدبية التي تهمنا اليوم أكثر تطرح مشاكل من نوع آخر، وبمعنى من المعاني غير قابلة للمعالجة حين يظهر على مستوى التقطيع ذاته للحقول الدلالية التي تبين أنه من العسير المطابقة الدقيقة بين لغة وأخرى، لما تصل الصعوبة ذروتها مع الكلمات المفتاحية Grundworter والتي يفرض عليها المترجم أحيانا الطريقة الحرفية كلمة بكلمة"[2].

تطرح اللغة إشكالية في الترجمة الأدبية أو البلاغية، خاصة فيما يتعلق بالكتابة ذات الوظيفة التأثيرية والجمالية على القارئ، مثلا حالة التورية في النقل من لغة إلى أخرى.

[1] ينظر: محمد عناني، نظرية الترجمة (مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة)، ص 24.

[2] ينظر: بول ريكور، عن الترجمة، تر: حسين خمري، ص 19.

"وقد تقتصر بعض مشكلات الترجمة . بوجه خاص . على نص مصدر بعينه، متمثلا في الصور البلاغية Figures of speech أو الكلمات المستحدثة Neologisms أو التورية. ونظرا لعدم إمكانية تعميم استخدام الحلول القاصرة على مثل هذه المشكلات الخاصة بالنص أو الحيلولة دون تطبيقها على حالات مماثلة ، فإنه يتعين على المترجم التأهب و الاستعداد التام للقيام بعمله بشكل مبدع.أما إذا افترضنا جدلا أن لدينا مثال مأخوذ ضمن نمط من أنماط النصوص التقليدية تماما حينئذ نسلم من أية مشكلة تكمن في النص، وتتم عملية الترجمة دون أي معوقات[1] ".

يمكن القول أن الترجمة أعيد بعثها من جديد في نهج علمي حديث، هذا ما كشفت عنه اللسانيات البنيوية مع رائدها فرديناند دوسوسير، والنظرية التأويلية مع بول ريكور، إضافة إلىمدرسة الهيرمينوطيقا في إطار إسهامات فريدريك شلايرماخر، كما اجتهد جورج مونان في تنظيره المتميز للترجمة مع فالتر بنيامين، رومان ياكوبسون و كذلك هنري ميشونيك.

رغم تطور النظريات، تبقى الترجمة محاطة بالتحديات والإشكاليات. فهي لم تحقق بعد مبتغاها في الوفاء الكامل للنصوص الأصلية، لكنها تؤدي دوراً محورياً كوسيط بين بنيتين داخل النسق المعقد للغة في إطار المنظومة اللسانية. الترجمة ليست علماً فحسب، بل هي أيضاً إبداع وسلوك هادف يسهم في إثراء الثقافات والانفتاح عليها.

تشبه الترجمة العزف على آلات متعددة، كما تقول مدام جيرمين دوستايل. فهي ممارسة، وعملية شاقة وممتعة، وهي أشبه بقطعة موسيقية ألفت لكي تعزف على آلة معينة وتنفد عل آلة من نوع مختلف حسب تعبير: مدام دوستايل[2].

[1] ينظر: كريستيان نورد، الترجمة بوصفها نشاطا هادفا (مدخل نظرية مشروحة)، تر/تق: أحمد على، مر: محمد عنانى، ص106.

[2] ينظر: حسن بحراوي، مأوى الغريب (دراسة في شعرية الترجمة) ص 36.

خاتمة

لا يمكن الحديث عن الترجمة دون التطرق إلى دورها المحوري كجسر يربط بين اللغات والثقافات، فهي عملية ضرورية وممارسة ثقافية تعكس عمق التفاعل الإنساني.

إن المجتمع الذي يعيش اليوم دون ثقافة راسخة لا يمكنه اللحاق بركب المجتمعات الأخرى، خاصة تلك الناهضة. وهذا ما يجعلنا نعيد تأويل العلاقة بين الرقي الحضاري والتقدم العلمي، حيث تعامل الغرب مع الترجمة باعتبارها سلوكًا وممارسة تمكّن من النهوض انطلاقًا من المعرفة التاريخية. فقد استفادوا من إنجازات السابقين في الهندسة، والطب، والفلك، والفلسفة، والأدب، وحوّلوا الترجمة إلى نظرية وعلم قائم بذاته. بهذا الأساس، وطدت الترجمة علاقتها بزمننا الراهن، مخترقة حدود الأزمنة ومرحبّة بجميع الثقافات، لتصبح جسرًا فاعلًا للتواصل والتطور.

علاوة على ذلك، تعد الترجمة تفعيلًا للحوار، في ظل تعدد اللغات والثقافات، ومع قصر معرفتنا بالتاريخ الذي لم يصلنا منه إلا القليل بسبب الحروب وندرة الترجمات. لهذا، لا بد من محفزات لهذه المهنة، فهي منشأ النهضة، خصوصًا في خضم الحداثة الكاسحة التي نعيشها. والثقافة التي لا تفتح أبوابها للآخر ستظل منغلقة على نفسها، ولا تدرك تأخرها إلا بوعيها واعترافها بالآخر، الذي يسكن الذات من خلال اللغة.

الترجمة، كفعل معرفي، تستمر في مواكبة الجدل الفكري والتاريخي الذي تراكم عبر العصور. لذا، فإن جهود اللسانيات والتأويلية كسلوك وممارسة تنتج علمًا يُعنى بالترجمة كمنظومة قائمة بذاتها تبحث في العلوم الإنسانية، وتسعى إلى تحقيق مستقبل واعد، بعيد عن التشويش والإهمال.

وفي مجال الأدب، تظهر جاذبية الترجمة بوضوح، إذ تُعاد ترجمة الروائع الأدبية مرارًا، مما يمنح الماضي مجدًا متجددًا. من الأمثلة على ذلك: ترجمة الإلياذة إلى العربية على يد سليمان البستاني، والأوديسة بترجمة دريني خشبة، وترجمة كاظم جهاد للكوميديا الإلهية، بالإضافة إلى ترجمات ألف ليلة وليلة التي أنجزها أنطوان غالان وأندريه ميكيل.

أما النصوص التراثية ذات الطابع الديني والفكري، فقد حظيت بمكانة خاصة في مدرسة طليطلة، حيث تُرجِم القرآن الكريم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر، ما أسهم في فتح الباب لفهم التراث المشرقي في الغرب. وفي السياق الحديث، قام المستشرق جاك بيرك بترجمة مميزة للقرآن.

كما تسهم الترجمة في بناء مقارنات أدبية عميقة، مثل المقارنة بين *الكوميديا الإلهية* لدانتي و*رسالة الغفران* لأبي العلاء المعري، لتُبرز أوجه التشابه والاختلاف بين التراثين الشرقي والغربي.

واليوم، لا ننظر إلى التراث كحيز ضيق، بل كرسالة عالمية واسعة تشمل رؤى متنوعة. وفي الختام، الترجمة هي جزء لا يتجزأ من المعرفة الإنسانية، تكرس نمطًا فريدًا من التواصل بين الأفراد والجماعات، لتظل بذلك مسعى نبيلًا متعدد الأبعاد وقابلًا للتأويل.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم. سورة الحجرات.
- جلال، شوقي. (2010). الترجمة في العالم العربي. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- عدناني، محمد (مدير مسؤول). (2015). مجلة البلاغة والنقد الأدبي (مجلة فصلية علمية محكمة)، العدد 5/4، خريف/شتاء. الرباط: وزارة الثقافة.
- بحراوي، حسن. (2010). أبراج بابل (شعرية الترجمة: من التاريخ إلى النظرية). الرباط: منشورات جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة بحوث ودراسات: 44.
- باسنيت، سوزان، وليفيفر، أندريه. (دون سنة). بناء الثقافات: مقالات في الترجمة الأدبية (ترجمة محمد عناني). القاهرة: دار نشر غير محدد.
- عبد الغني، محمود. (2017). معجم المصطلحات الأساسية في الترجمة الأدبية. إيطاليا: منشورات المتوسط.
- عناني، محمد. (2003). نظرية الترجمة الحديثة: مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة. القاهرة: الشركة العالمية للنشر (لونجمان).
- نورد، كريستيان. (دون سنة). الترجمة بوصفها نشاطًا هادفًا (ترجمة أحمد علي، مراجعة محمد عناني). القاهرة: المركز القومي للترجمة (العدد 2513).
- بحراوي، حسن. (2018). مأوى الغريب: دراسات في شعرية الترجمة. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- ريكور، بول. (2008). عن الترجمة (ترجمة حسين خمري). الجزائر: منشورات الاختلاف، دار العربية للعلوم ناشرون.
- مونان، جورج. (2002). علم اللغة والترجمة (ترجمة أحمد زكريا إبراهيم، مراجعة أحمد فؤاد عفيفي). القاهرة: المشروع القومي للترجمة.
- ألبير، أمباروأورتادو. (2007). الترجمة ونظرياتها (مدخل إلى علم الترجمة) (ترجمة علي

إبراهيم المنوفي). القاهرة: المركز القومي للترجمة.

- دريدا، جاك. (2015). أبراج بابل (ترجمة صبحي دقوري، تقديم إبراهيم محمود). اللاذقية: دار الحوار.
- بيم، أنطوني. (2010). المنهج في تاريخ الترجمة (ترجمة علي كلفت). القاهرة: المركز القومي للترجمة.